جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

يا لَلّهِ لِلْمُسْلمين
من فتاوى الأهواءِ والأغراض

الأستاذ الدكتور

شحات حسيب الفيومي

مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس
بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر
والأستاذ المتفرغ - قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الرابع والثلاثون، لعام ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ - ٢٠١٥م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٥/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

يا لَلّهِ لِلمُسلمين من فتاوي الأهواء والأغراض. هذا من النداء وهو طلبُ الإقبال بحرف نابَ منَاب الفعل "أدعو" ويستعمل النداء في النُّدبةّ وفي الاستغاثة.

أما النُّدبةُ: فهي منادي متفجُّعُ عليه أو مُتوَجَّعٌ منه.

أما الاستغاثة: كلُّ اسم نودي ليُخلّصَ من شدة أويعينَ علي دفع مشقة. فنستغيث بالله ليخلصنا من فتاوي الأهواء والرياء:

ظاهرة فتاوى الأهواء لون من ألوان الحرب علي الإسلام

بدأتْ هذه الحرب بعد ماتفكك الإتحاد السوفيتي الملحد المنكر للإلوهية وأعلنت أمريكا والغرب الحرب بعد زوال الإتحاد السوفيتي علي الإسلام حينما قال "بوش" الآن تفرغنا لحرب الإسلام. وحينما بدأت تمثيلية حرب الخليج بمشاركة الدول العربية والإسلامية وأمريكا وأوربا علي العراق وأعلن "**بوش الابن**" الإشارة إلي بدأ المعركة أسمع العالم كله "**الآن بدأت الحربُ الصليبية**" وسمعتُه بأذني بعد الفجر. وللأسف الإعلام العربي لم يذع هذا الإعلان مرة أخري.

وخرج عضو من الكونجرس الأمريكي ويقول: اضربوا الكعبة بقنبلة نووية وحينما أتي طوفان ثورة يناير وحكم حزب الحرية والعدالة للإخوان المسلمين اتجه الإعلام المصري إلي حرب الإسلام بمسميات مختلفة ومنها فتاوي الأهواء ومهاجمة النصوص القرآنية وتفسيرها بهوي الحرب علي الإسلام وسب علماء الإسلام من عصر الصحابة إلي عصرنا هذا ووصفهم بالحجارة والتخلف. وبوق هؤلاء هو "**إسلام بحيري**" على قناة القاهرة والناس.

ومما أزعجني صباح يوم الأربعاء ٧ يناير سنة ٢٠١٥م ماسمعته من حلقة معاده كانت بتاريخ ٦ من يناير ٢٠١٥م علي قناة التحرير المصرية "مستشار"

من القضاء الشامخ المصري يقول هذا المستشار: الفتوحات الإسلامية جُرْمُ في حق المسلمين فإنهم قصدوا الشمال من أجل الستات البيضاء ولم يتجهوا إلى الجنوب في إفريقيا لأن نسائهم سود.

فأصبح الإسلام يطعن من الخارج من أعداء الله من أمريكا وأوربا واليهود والنصارى والإساءة للرسول "محمد" (ﷺ).

ومن الداخل بالفتاوى والأفكار التي تنال من الإسلام.

وأرى أن الأزهر لا وجود له بسبب دخول مشايخه في أمور كان الأولى بهم أن ينأوا عنها ويتنزهو عن الخوض في مستنقعها.

ليلة سهر فيها الشيطان:

أتت ليلة الثامن من شهر يناير سنة ٢٠١٥ وجلست أمام التلفاز أطوف بكل القنوات وكنت أقف متأملاً في القنوات التي تُبث من مصر ورأيت الذين يرمون الإسلام بسهام الحقد من أبناء المسلمين وغير المسلمين.

وقفة أمام قناة التحرير المصرية استضافت إعلامية من الإعلاميين الحاقدين على الإسلام وأظن أن أغلبهم يفوح من سلوكهم رائحة الحقد على الإسلام قال: أحدهم: ما معنى الكتيبات التى تضم أذكاراً صباحية ومسائية: وهذه الأذكار عند لبس الرداء. وعند الخروج من البيت وعند دخول الحمام وعند الخروج من البيت حتى غرفة النوم وعند اللقاء الجنسي فأصابوا الناس بالخرف والزهايمر.

والجاهل لا يدرى أن هذه الأذكار هي لحفظه من الشياطين وحفظه من البلاء وحفظه من الهم والغم ومع هذا فهي عبادة وذكر لله ولقد جعلها الإسلام من آدابه.

ويأتي آخر بعده: وهو مستشار من القضاء في مصر فيقول: الفتوحات الإسلامية أكذوبة فهي اعتداء وقهر على الدول التى دخلوها وكان هؤلاء الفاتحون قد ولّوا وجوههم شطر الشمال رغبة في الستات البيضاء الحسناوات ولم يتجهوا

صوب الجنوب الإفريقي لأن النساء أسود من الفحم ليس فيهم مسحة جمال. ودخل طارق بن زياد الأندلس وهم لم يسيئوا إليه رغبة في الحسناوات فدخلوا هذه البلاد بالقوة. هذا ما قاله البغل الجاهل:

وكلامه: يرمي به إلي أن الإسلام انتشر بالسيف وهذه مقاله يرددها أعداء الإسلام في كل عصر وهي من القاذورات التي يرمينا بها أعداء الإسلام والأحمق لايدري أنهم يطبقون ماورد في كتابهم وماورد في سنة رسولهم فلقد قال تعالي ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾. (البقرة: ٢٥٦).

وقوله تعالي: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يونس: ٩٩).

وقوله تعالي: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف: ٢٩).

وحين خرجوا من الجزيرة كانوا مثلا أعلي للعالم:

فهم لم يقطعوا شجرا ولم يقتلوا طفلا. ولا امرأة ولم يُغَوِروا بئرا ولم يردموا نهراً ولم يخربوا بيتا بل كانوا يقتلون من قاتلهم. ويريدون أن ينيروا الطريق إلي دين الله (ﷻ).

ويا أيها المستشار:

لقد بعث المقوقس أحد عيونه ليصف للمقوقس مشاهدته عن المسلمين المنتظرين الأمر لدخول مصر فقال:

(قوم يجلسون علي الأرض. طعامهم علي ركبهم. أميرهم كواحد منهم. رهبانٌ بالليل. ليوث بالنهار) أدرك المقوقس أنهم سيدخلون مصر.

والبغل زاد علي المستشرقين كذبا فقال "دخلوا البلاد رغبة في الستات البيض" ولم يدخلوا إلي إفريقيا لأن النساء سود.

والله لم تكن هذه نيتهم

والجاهل: يعرف أن الفرس والروم كانت لهم أسلحتهم المتفوقة في العالم. فاضطر الفاتحون المسلمون إلي مواجهة القوة بالقوة.

والجاهل لا يعرف أن عدد المسلمين في إفريقيا كلها لايقل عن عدد الشمال بل يفوق ولم يقابلوهم بالقوة.

والبغل: يعرف أنه لم تكن فتوحات في الهند وباكستان. وماليزيا وغيرها وانتشر الإسلام فيها.

وأدرت مفتاح الذّر إلي قناة أخري: وإذا بامرأة تغطي فمها وتقول: محمد كان ذكيا شجاعاً بارعا ولذلك ألَّف القرآن من عنده.

هذه الحمقاء: لا نرد عليها لأنها من الفصيلة الحميرية. فهي تردد ماقاله الحاقدون.

والنصوص في الإنجيل وفي التوراة والقرآن تدل علي أنه من عند الله فلتقرأ. وبعد ذلك ترمي الرسول (ﷺ) بأنه أتي بالقرآن من عنده.

وقلبتُ الذّر إلي قناة أخري فرأيت مجموعة من الشباب تدل هيئتهم علي أنهم مدمنوا مخدرات. جيء بهم من الشوارع والخرابات. وقالوا جميعا إننا ملحدون. وتسألهم الإعلامية البلهاء التي استضافتهم هل إلحادكم قريب أم من زمن بعيد؟

ويتعرضن بعضهم للذات العلية بالإنكار.

وفي ليلة من ليالي شهر فبراير ٢٠١٥م يُطل علينا / **مجدي خليل** من واشنطن يطفح فمه بالحقد ليقول في القرآن (٥٢٤) أية، تدعوا إلى العنف وجُنّد هذا الخبيث لطعن الإسلام. وفى مساء الأحد ٢٠١٥/٢/١٥م وعلى قناة روتانا مصرية وبرنامج "**تامر أمين**" لاحت كارثة تعصف بأخلاق المسلمين قال **عبد**

الستار فتحي رئيس هيئه الرقابة على المصنفات الفنية أن هناك قراراً اتخذته هيئه الرقابة على المصنفات وهو تصنيف الأفلام على مقدار الأعمار فالأفلام الجنسية تعرض ولا يدخلها إلا من هو فوق (١٨) سنه، ويجوز مجيء الأفلام الجنسية الإباحية. وهذه القرارات بتوجيه من جابر عصفور وزير الثقافة. هذه الكارثة تعصف بالأخلاق الكريمة فماذا يفعل المسلمون وماذا يفعل أبناؤهم أمام هذه الكارثة. ما هذا الذي يجرى في فضائيات مصر بعد ما كانت عرينا للإسلام باتت تصوب سهامها نحو الإسلام برميه مما ليس فيه وقذفه بالشُّبه الكاذبة وبالإساءة للرسول (ﷺ) والله بسلوك هولاء ليزلن بهم بأسه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم مصيبة). ويقول قس: اكتشفت خطأ في اللغة في القرآن وهو في سورة طه " إن هذان لساحران" قديمة ياقس. ذاكر لغة عربية وأنت تعرف ياجاهل.

الأزهر المظلوم:

منذ أنشئ هذا العملاق، فلقد كان عملاقا وفي فترة كان يدعو للتشيُّع ويُدرَّس فيه الفكر الشيعيَّ حتى جاء صلاح الدين الأيوبى وانطفأت منارتُه مائة عام أغلقت أبوابه ونوافذه فيها حتى اشتعلت الجذوة الخامدة وأتى الضوء بمذهب جديد والمذهب السني وازدهر هذا المذهب وكثر علماؤه، وبرز فقهاؤه، فصار الأزهر منارة للمسلمين في بقاع الأرض، وقبلةً لشعوبها، يؤُمَه الطلاب فينهلون من منابعه، ويتلذذون بصافي شرابه ويحملون إلى بلادهم لآلئه، ولاغرو فهم يشربون من معين المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي فمن دراستهم لهذه المذاهب انبثقت الوسطية فليس في فكره إفراط، ولا تفريط، ولا تنطع ولا تشديد، وصار هو المسئول عن الثقافة الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي. استمر هذا الحال قرونا ودهورا فتاواه تُسعد القلوب ولها أدلتها من ظواهر النصوص التي تنطق بمعانيها وعند المدَّ الاستعماري كان الأزهر هو الضياء الذي احرق جيوشهم وأنار

للمسلمين طريقهم فلا يستطيع الاستعمار أن يغير ثقافتهم أو يبدَّل دينهم وتسرى فيهم روح الجهاد وهو من أصول عقيدتهم ومن موروث ثقافتهم ويبعث الأزهر القوة في هذه الروح بالمداومة على التركيز بها.

فما يلبث الاستعمار إلا أن يعجز عن مقاومة هذا الشعب فيحمل عصاه على كاهله ويرحل. رأينا ذلك في الاستعمار الفرنسي والذي دخل حملته **(نابليون بونابرت)** إلى الأزهر بخيله ورجله ورحل. ورأينا ذلك مع الاستعمار الانجليزي ورحل ورأينا ذلك مع غيرهما.والتاريخ يشهد لمشايخه بالغيرة على مصر وعلى الدين الإسلامي ولولا الأزهر لتغيرت ثقافة هذا الشعب وعقيدته. وطفق الاستعمار يفكر في هدم تلك المنارة العصيَّة في الهدم.فهم لا يستطيعون هدمها من الخارج بل سلكوا طريقا خبيثا من الداخل ويكون الهدم على يد أبنائه ومر الأزهر بمراحل هدم:

المرحلة الأولي في عهد عبد الناصر:

أدرك هذا الرجل أن الأزهر منارة وان علماءه شوكة فى حُلُوق الحكام والملوك والرؤساء. فهم يقيدون أيديهم عن الظلم. ويكبحونهم عن أهوائهم وفسادهم فصار الحكام يخشونهم ولاسيما أن هولاء العلماء يزهدون في الدنيا وفى المناصب رغم شظف عيشهم وخشونة حياتهم. وضيق أرزاقهم وكانوا ليوثا للحكام فشرع عبد الناصر في فعل مالا يفعله الاستعمار. فألغى المحاكم الشرعية وهدم الأزهر بتطويره وفرض علوم وزارة التربية والتعليم على الأزهر بجانب علوم الأزهر فأخذت حيزا من الاهتمام بالعلوم الأزهرية وكان ممكنا أن يكون لهذا التطوير ثمرة ولكنه أتى بثمرة للهادمين.ومن اجل استمرار الحال فيه أوجزت مناهج المواد الأزهرية فصارت صفحات وبقيت مواد التربية والتعليم كما هي حَرَم لايعتدي على حرمته ولا ينقص منها.

قتل وهدم:

سعى عبد الناصر وبطانته إلى ضربة للأزهر في مقتله وهو أن شيخه يكون بالتعيين وليس بالانتخاب. والاختيار لا يقوم على الثروة العلمية. ولا على قوة الشخصية القيادية. ولا على القوة الإيمانية. ولا على الزهد في الدنيا. بل يقوم على مقوم واحد هو إنكار الذات قِبل الحاكم. وان يكون لسان حاله (سمعنا واطعنا) ليكون وتداً شرعيا للحاكم يطبق به حكمه وهواه وفساده.

وفتح هذا الأمر رتاج الفتنه الذي لا يوصد.فدخل منه كثير من علماء الأزهر يتزلفون إلى الحاكم ويهرعون إلى التقرب إليه عن طريق فتاوى ضالة أو عن طريق القرابة. وظهر ذلك جلياً في عهد **(حسنى مبارك)** الذي استمر ثلاثين سنه. ودخل كثير من علماء الأزهر الحزب الوطني وساروا أعضاء في أمانته طمعا في منصب أو إمامة الأزهر.

بيد أن واحداً من عظماء الأزهر على طول تاريخه شذ عن هذه السفا سف وهو الشيخ الجليل(عبد الحليم محمود) (ﷺ).

بعض شيوخ الأزهر يهدم أركانه

جاء البعض إلى مشيخة الأزهر، وشرع يُكْمل مشوار الهدم فقام بهدم الأعمدة التي يقوم عليه بنيان الأزهر. أزال المذاهب الفقهية المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي. وألف كتبا في التفسير والفقه والتوحيد وفرضت على الطلاب في المرحلة الثانوية وفي الجامعة.

توابع هذه المراحل:

أولا: بزوال المذاهب الفقهية وأفول نجومها ماتت الوسطية في الأزهر. لأن دراستها كانت تفتح أبواب الاختيار فهي أصلح من رأى واحد.

ثانيا: أصبح ابن الأزهر ضعيفا فكريا فمواد الأزهر لاتقيم أوده واجتماع مواد الأزهر ومواد التربية والتعليم صارت حملا ثقيلا على كاهله.

ثالثا: أصبح ابن الأزهر لا يشبع الجوع الديني عند الناس فهو يخطئ في نطق الآيات ولا ينطق الحديث نطقا صحيحا. ناهيك عن تخبُّط لسانه في اللغة.

رابعا: ظهور فكر الإخوان وفكر محمد بن عبد الوهاب:

غير الوهابيون اسم دعوتهم إلى الدعوة السلفية حتي يقبلها الناس ففي مسماها إيهام بأنها دعوة السلف الصالح الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري ولكن الحقيقة أنها فكر الحركة الوهابية.

وفي ظل ضعف وهوان الأزهر استغل الإخوان المسلمون هذا المناخ وبثوا دعاة لهم بين طلابه وطفقوا يدعون لدعوتهم وبعد سنين صار كثير من أبناء الأزهر من الإخوان المسلمين حتى استفحل أمرهم ويصعب وقف مدِّهم وتناميهم.

وأدرك الوهابيون هذا الأمر فسارعوا إلي بث فكرهم فصار لهم أبناء في الأزهر وامتلكوا بعض الكليات في جامعته بعد طغيان فكرهم.

المملكة العربية السعودية والحركة الفكرية:

المملكة العربية السعودية قامت بفكر محمد بن عبد الوهاب آل سُعود وقامت بالدعوة لهذا الفكر. وتسمية المملكة العربية السعودية نصيب من تسمية آل سعود فقامت المملكة بإنشاء بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام، هذه الجامعة قامت لتناطح الأزهر في نشر الفكر الوهابي واستخدمت الطلاب من جميع الأقطار الإسلامية وأغدقت عليهم الأموال فسبقت الأزهر في هذا السباق ولكنها خرجَّت أناسا خرجوا إلي بلادهم وإلي العالم ليطبقوا تعاليكم الحركة بقوة السلاح فأطلق عليهم لفظ الإرهاب وأول من بث هذا الاسم هم المصريون.

أما الأزهر فلم يخرج منه أحد يطبق ما تعلمه من الأزهر بالسلاح وسعت المملكة إلي إغداق المال علي مريديها من السلفية في مصر وأغرقتهم بالأموال التي لا تنقطع وامتدت السلفية في الأزهر وفي ربوعه باتت المنابر في المساجد بحوزة الإخوان والسلفية وضاعت هوية الأزهر وشغل أبناء الأزهر بالسياسة والتطلع إلي مناصبه.

وأنشأ السلفية حزبا لهم وصار الجميع من الطوائف الإسلامية يسعون لإرضاء الحكام وعدم الخروج عليهم وأنشأ الإخوان حزبا لهم وتسابقا في ضم الناس إليهما.

حرب بين الأبناء

انتشر الفكر الإخواني والسلفي بين أبناء مصر وخرج الأمر عن سيطرة وزارة الداخلية وأمام هذا المد الديني المتنوع قام الأمن المصري بضربهم ببعض حتى لا يصلوا إلي الحكم وأذكي نيران الخلاف ولم يقصِّر الأمن في تقوية السلفية وصار السلفيون أوتاداً للحاكم وللنظام وحرَّموا الخروج علي الحاكم.

ثورة يناير:

هبَّ الشعب ثائراً علي حكم مبارك الذي ظل جاثماً علي صدره ثلاثين سنة لم يعمل لأجياله عملا ينفعهم بل كانت الحكومات من رجالات الأعمال الذين سرقوا الشعب وإستعبدوه وملكوا أرضه وثروته وصار الشعب فقيراً مريضاً ضائعاً يائساً. الشباب يتخبطون في ظلمات حالكة يسيرون إلي المجهول أعمارهم بلا شباب وحياتهم بلا ربيع ، يشعر الواحد منهم بأنه وَهْمٌ وسراب وحل بمصر الدمار والخراب وماتت الأخلاق وحلت محلها البلطجة وَوُسِّد الأمر إلي الجهلة والبلطجية في الشوارع وانتشرت المخدرات.

الأزهر والثورة:

دعا الأزهر الثوار إلي عدم الخروج علي حسني مبارك وأُعْلِنَ ذلك صراحة وعندما بدأت ريح الثوار تشتد تراجع عن فتواه وقال إنهم يطالبون بحقوقهم وكان علي استحياء منه.

وفي فترة حكم المجلس العسكري أخذت الأفكار تتبلور لحكم مصر.

الإخوان يصلون إلي سُدَّة الحكم

أسفرت الانتخابات الرئاسية عن نجاح ممثل الإخوان فصار **دكتور/ محمد مرسى** أول رئيس مصري منتخب في التاريخ المصري كله، ولكن النظام القديم كان يمسك بأزمة البلاد، فكان القضاء المصري بكل فئاته يدين لمبارك بالولاء وعلى رأسه النائب العام وكذلك الشرطة وكذلك الإعلام الذي يملك الأبواق التي تصل إلى الأسماع ناهيك عن الجيش فمبارك خرج من رَحِمه. فكان مرسى مغلول اليد، وارتكب الإخوان أخطاء كثيرة أَلَّبَتْ عليهم الأحزاب وثوار يناير، وانفردوا بالحكم وكان مرسى قد وعد بمجلس رئاسي من كل الطوائف ولكنه نسى وعده فخرج الجميع عليه من جميع الأحزاب وجبهة الإنقاذ وحركه تمرد وكفاية و٦ ابريل

وحزب النور السلفي ودعاهم مرسي إلى تشكيل مجلس رئاسي ولكن بعد فوات الأوان.

وكان مرسي معذوراً، كانت المظاهرات تملأ الشوارع وكان امن الدولة ينظمها واختفت الشرطة من الشوارع وعاث البلطجيه في الأرض فساداً، ولاح خلع مرسي في الأفق.

الأزهر وخلع مرسي:

حانت ساعة الخلع ودخل الجيش ورضي الأزهر والكنيسة وحزب النور بخلعه وصرَّحواً بأنهم اختاروا اخف الضررين قالوا (اخف الضررين).

دولة الرئيس السيسي:

جاء الرجل وبانتخابات المهم أصبح رئيسا والرجل يعمل وأمامه طوفان من المشاكل وخراب في كل مكان فلندعه يسير وهو في مكان لا يحسد عليه بسبب جيوش العاطلين وجيوش الفاسدين. وهو يريد أن يعمل شيئا لمصر.

حال مصر الديني بعد رحيل الإخوان:

ساد الفكر العلماني وسعت وسائل الإعلام في نشره وفتحت النيران علي الإسلام وعصفت الأفكار الإلحادية بأهل مصر وللأسف روَّج لها الإعلام ويستضيفون أصحاب الأفكار بالساعات منهم من يتعرض للذات العليه بالإنكار ومنهم من يأتي كل يوم ساعة علي "القاهرة والناس" وهو "إسلام بجيري" وفكره ينصب علي أنه سيدخل الجنة الكفرة واليهود والنصارى ويأتي بنصوص يفسرها علي هواه، وللأسف تسلط علي العلماء منذ فجر الإسلام إلي عصرنا هذا ولقد سبهم وسفههم ورماهم بتحجر عقولهم. وقال بأن الأئمة الأربعة طواغيت. وبمشيئة الله سيموت علي سوء الخاتمة هو ومن علي شاكلته.

إن الغرابة أن نري ذلك في مصر التي إذا هبت عليها عاصفة إلحادية تتبد حين تصدم بجبال الإيمان.

فوضي الفتاوى تنتشر في ربوع مصر:

ارتفعت الأصوات بالفتوى التي تنبئ عن معين الجهل وغيره:

فهذا مبعوث ديني ذهب إلي ألمانيا ويفتي ويقول: إن الله لم يحرم الخمر.

ويفتي غيره: قبل أن تصل إلي بيتك. اتصل بزوجتك تنبهها قد يكون معها رجل أجنبي فيخرج ويختفي ولايلتقي بك حتى لايقتلك.

ويفتي غيره: إذا خرج عليك بلطجي أو بلطجية ومعك زوجتك أو إحدى محارمك فاتركها له يفعلون ماشاءوا حتى لا يقتلوك.

فتوى سعد الدين هلالي والرد عليها

جريدة الوطن العدد ٩٦٤ يوم الجمعة ١٩ ديسمبر ٢٠١٤صـ١١.

الإسلام هو دين الله الذى أرسل به جميع رسله إلى البشرية برسالة التوحيد وشرائع متدرجة بلغت كمالها وتمامها بخاتم النبيين سيدنا محمد (ﷺ). ويرجع اسم الإسلام إلى تسليم مقاليد الأمور إلى الله تعالى بوحدانيته كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النساء: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٠). وإسلام الوجه لله لا يتحقق إلا بإقرار التوحيد له سبحانه، ومن

هنا كانت دعوة جميع الرسل والأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾(الأنبياء: ٢٥)

ويجب تسمية كل دين نزل من السماء على أحد رسل الله صلوات الله عليهم بأنه دين الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ١٩﴾ (آل عمران: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ (آل عمران: ٨٥). ولذلك كان أمر الله تعالى لسيدنا محمد (ﷺ) أن يدعو المنحرفين من أهل الكتاب إلى العود لأصل الإسلام وهو توحيد الله سبحانه حتى يكونوا مسلمين، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ (آل عمران: ٦٤)، وإعمالاً لمفهوم المخالفة الذي يراه الجمهور حجة أنهم إن استجابوا لتوحيد الله فقد صاروا في نظرنا مسلمين إلا أنه إسلام دون إسلام؛ لأن النقص ليس كالكمال، وكما أن الكفر يحتمل ما دونه فكذلك الإسلام يحتمل ما دونه.

وقد أتى الإسلام الخاتم الذي جاء به نبينا محمد (ﷺ) في صورة لبنة الكمال لدين الإسلام من قبله كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾(المائدة: ٣)، ولا يجوز وصف الإسلام الخاتم بأنه دين من جنس آخر غير جنس الإسلام الذي جاء به الرسل السابقون كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ٩﴾ (الأحقاف: ٩)، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ٩٠﴾(الأنعام: ٩٠)، وأخرج الشيخان

عن أبى هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلَّا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.

ولم يتحرج سيدنا محمد خاتم النبيين (ﷺ) أن يتواصل مع ما يطمئن إليه قلبه من شرائع السابقين فيما لم يؤمر فيه بشيء آخر؛ لاتحاد جنس الدين وهو الإسلام، فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس قال: «كان رسول الله (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء»، وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، كما أخرج الشيخان عن ابن عباس أنه لما قدم النبي إلى المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى. فقال (ﷺ): «فأنا أحق بموسى منكم» فصامه وأمر بصيامه.وعندما احتاج النبي (ﷺ) إلى معرفة حكم الغيلة وهى لقاء الزوجة الحامل، أو لقاء الزوجة في سنتي الرضاعة لطفلها، استأنس بفعل أهل الأمم السابقة وكان في مكنته أن يسأل الوحي الذي ينزل عليه، فقد أخرج مسلم عن جدامة بنت وهب أن النبي (ﷺ) قال: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً»، فلم يَنْهَ عن الغيلة. وعندما هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة المنورة وجد اليهود تتعامل بالسلف، وهو بيع السلعة بثمن مقدم قبل تسليمها بعام أو أكثر، وهو يخالف ما كان قد نهى عنه حكيم بن حزام عندما قال يا رسول الله: يأتيني الرجل يسألني من البيع ما ليس عندي أبتاع له من السوق ثم أبيعه؟ فقال (ﷺ): «لا تبع ما ليس عندك» (أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة بسند صحيح)، فلما قدم النبي (ﷺ) المدينة التي كان يسكنها كثير من

اليهود وجدهم يسلفون بالتمر، وفى رواية يسلفون فى الثمار السنتين والثلاث، فقال: «من أسلف في شيء ففي كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» (أخرجه الشيخان عن ابن عباس).

وإذا ثبت أن دين السماء من يوم أن نزل على أول رسل الله للبشرية إلى أن تم كماله على خاتم رسل الله، صلوات الله عليهم، اسمه الإسلام فالواجب أن يوصف المؤمنون به بوصف المسلمين كما ورد في القرآن الكريم عن السابقين واللاحقين كما يلي:

(١) قال تعالى عن نوح (عليه السلام): ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (يونس: ٧٢)

(٢) وقال تعالى عن إبراهيم وبنيه، (عليهم السلام): ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾(البقرة: ١٣١-١٣٣)

(٣) وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل، (عليهما السلام): ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٧-١٢٨).

(٤) وقال تعالى عن سيدنا محمد (ﷺ): «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (الأنعام:

١٦٢-١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الزمر: ١١-١٢)

(٥) وقال تعالى عن المؤمنين بالدين الخاتم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(آل عمران: ١٠٢).

وقد أجمع أهل الأرض من المسلمين وغيرهم على أن الإسلام الخاتم الذي جاء به سيدنا محمد (ﷺ) يقوم على أركان أولها النطق بالشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ولا تغنى إحداهما عن الأخرى، مما يجعل كل بيان أو تصريح بهذا الشأن مهما كانت جهة إصداره ما هو إلا تحصيل حاصل أو تعريف بالمعرّف. ويستدل المسلمون على ذلك بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(البقرة: ٢٨٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الفتح: ١٣)، وحديث الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) قال: «بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»، وعند البخاري بلفظ: «إيمان بالله ورسوله». الحديث. ويستدل غير المسلمين على ركن الشهادتين للمسلمين فى الدين الخاتم بواقعهم في الدنيا أنهم آمنوا برسالة سيدنا محمد (ﷺ) مع توحيدهم لله. إذن قضية الشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ليست محل نزاع، فهي أول أركان الإسلام الخاتم شرعاً وعقلاً، وليست محل تشكيك كما يحاول البعض أن يتاجر بها لإثارة الفتنة والوقيعة بين عوام الناس.

إنما القضية التي طمسها الخطاب الديني الوصائي هي وصف المؤمنين بالتوحيد على ملة أحد الرسل السابقين كموسى وعيسى (عليهما السلام) إلى قيام الساعة بأنهم مسلمون أو غير مسلمين؟ على ثلاثة اتجاهات فقهية حكاها الإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى ٩١١ هـ، في كتابه «**الحاوي للفتاوى**»، ووصف من ينكر هذا الخلاف في تلك المسألة بالجهل بنصوص العلماء وأقوالهم، ونقل الإمام ابن حجر الهيتمي، المتوفى ٩٧٤ هـ، في كتابه «الفتاوى الحديثية» عن السيوطي الخلاف فى المسألة. وكان الإمام ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨ هـ، قد جمع بين قولي الفقهاء من قبله في اتجاه فقهي انفرد به في كتابه «مجموع الفتاوى». وأوجزت «الموسوعة الفقهية» الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية تلك الاتجاهات الثلاثة في مصطلح «إسلام». ونذكر تلك الاتجاهات وفقاً لمنهج الأمانة العلمية فيما يلي:

(١) يرى فريق من الفقهاء، وانتصر له الإمام السيوطي، ت ٩١١ هـ، أن وصف المسلم ليس إلا للأنبياء السابقين دون أتباعهم، ثم لخاتم النبيين (ﷺ) وأمته تشريفاً لها وتكريماً، وذكروا لذلك أدلة منها قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴿٧٨﴾﴾(الحج: ٧٨). قالوا: إن الضمير فى قوله تعالى «هو سماكم» يرجع إلى إبراهيم الذي سأل الله تعالى هو وابنه إسماعيل أن يجعل من ذريته أمة مسلمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٧-١٢٨). قالوا: فكانت هذه الأمة

الخاتمة ببركة دعائهم: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ ﴿١٢٩﴾ ﴾(البقرة: ١٢٩).

(٢) ويرى فريق آخر من الفقهاء، وانتصر له ابن الصلاح، ت ٦٤٣ هـ، أن وصف المسلم إذا ثبت للرسل السابقين فيجب جريان هذا الوصف على أتباعهم؛ عملاً بالقاعدة الأصولية «التابع تابع»، ولأن الدين الذي جاء به جميع الرسل هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

(٣) والاتجاه الثالث الذي انفرد به ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، هو الجمع بين الاتجاهين السابقين المعروفين في عصره. حيث يرى أن الاختلاف في هذه المسألة هو اختلاف لفظي، بمعنى أن من قال بوصف الأمم السابقة بأنهم مسلمون لا يقصد مساواتهم بالمسلمين في الدين الخاتم، فإسلامهم دون إسلام، ومن لم يرضَ بوصف الأمم السابقة بالمسلمين لا يقصد مساواتهم بالكفار فكفرهم دون كفر. ومن هنا انطلق ابن تيمية إلى رؤيته الفقهية الجامعة بين القولين فقال: إن للإسلام إطلاقين خاص وعام. أما الإطلاق الخاص فهو الذي بعث الله به نبينا محمداً (ﷺ) المتضمن لشريعة القرآن، وأما الإطلاق العام فهو المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ ﴿٣٦﴾ ﴾(النحل: ٣٦).

والعجب من أمر المصادرين على هذا الفقه وتلك التعددية التى استوعبها السابقون أمثال ابن الصلاح، ت ٦٤٣ هـ، وابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، والسيوطي، ت ٩١١ هـ، وابن حجر الهيتمي، ت ٩٧٤ هـ. وكان المنطق كلما تطورت حضارة الإنسان أن تجد استيعاباً أكثر للقواسم المشتركة مع الآخر، إلا أننا نجد في ظل الخطاب الديني الوصائي رفضاً لكلام الأئمة السابقين ومحاولة لتأويل بعض ألفاظهم على أن المقصود بالأمم السابقة ما كان فى أزمنتهم قبل بعثة النبي محمد (ﷺ)؛ لتدمير فكرة التعددية الفقهية وحتى تظل العصبية الدينية متأججة بين الناس، وكأن هؤلاء الأوصياء هم مصدر الفهم والتفسير للبشرية، ويجب على أصحاب العقول والأفهام أن يعطلوها تقديساً لهؤلاء الأوصياء الذين أعلنوا احتكار الدين وعلومه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن إيمان المرء لا يكتمل إلا إذا استقل بقلبه ونيته وعقله وفهمه عن قلوب ونوايا وعقول وأفهام الآخرين، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾(الإسراء: ١٣-١٥)، وكما قال النبي (ﷺ) لـ وابصة بن معبد فيما أخرجه أحمد بإسناد حسن: «استفتِ نفسك استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك». فعلى الأوصياء أن يمتنعوا حتى يصح دين الناس، وعلى الناس أن يستوعبوا بأنفسهم لأن أحداً لن يغنى عنهم من الله شيئاً.

وحتى لا يغتر أحد بكلام الأوصياء فإنني سأنقل حرفياً ما ورد فى أربعة مراجع معتمدة في هذه المسألة لإبراء ذمتنا أمام الله تعالى، وحتى يعود من أراد الله له الهداية من هؤلاء الأوصياء إلى رشده.

(١) يقول ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»، ج٣، ص ٩٤، ما نصه: «قد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً (ﷺ) المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد (ﷺ)، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا. وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء. ورأس الإسلام مطلقاً شهادة «أن لا إله إلا الله» وبها بُعث جميع الرسل.

(٢) ويقول السيوطي في «الحاوي للفتاوى»، ج٢، ص ١٠٩، ما نصه: «قد وقع السؤال: هل كان الأمم السابقة يوصفون بأنهم مسلمون أو لا؟ فأجبت بما نصه: اختلف العلماء هل يطلق الإسلام على كل دين حق أو يختص بهذه الملة الشريفة؟ على قولين أرجحهما الثاني، فبلغني بعد ذلك أن منكراً أنكر ذلك وأنه استدل بأشياء على كون الأمم السابقة يوصفون بأنهم مسلمون فعجبت من ذلك عجبين. الأول من إنكاره، فإن كان أنكر أن للعلماء في ذلك قولين فهذا دليل على جهله بنصوص العلماء وأقوالهم.. والعجب الثاني من استدلاله.«..

(٣) ويقول ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية»، وهو جزء واحد (ص ١٢٦) ما نصه: «سئل نفع الله به بما لفظه: اختلف العلماء هل يطلق الإسلام على سائر الملل السابقة حين حقيقتها أو يختص بهذه الأمة، فما الراجح فى ذلك؟ فأجاب بقوله: رجح ابن الصلاح الأول، وسيأتي ما يصرح به من لفظ القرآن، ورجح غيره الثاني وهو أنه لا يوصف به أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط، وشرفت هذه الأمة بأن وصفت بما يوصف به الأنبياء تشريفاً لها وتكريماً. واستدل الحافظ السيوطي على رجحان الثاني بأمور مبسوطة.

(٤) وجاء في «الموسوعة الفقهية» الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية سنة ١٩٩٣ م، ج ٤، ص ٢٦٠، مصطلح «إسلام» تحت عنوان: «إطلاق الإسلام على ملل الأنبياء السابقين وأتباعهم»: «اختلف علماء الإسلام في ذلك، فبعضهم يرى أن الإسلام يطلق على الملل السابقة.. ويرى آخرون أنه لم توصف به الأمم السابقة وإنما وصف به الأنبياء فقط وشرفت هذه الأمة بأن وصفت بما وصف به الأنبياء تشريفاً لها وتكريماً.. وقال الإمام ابن تيمية: وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟ فالإسلام الحاضر الذى بعث الله به محمداً (ﷺ) المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد (ﷺ)، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا. وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه إسلام كل أمة متبعة لنبى من الأنبياء.

بقى أن نقول لأوصياء الفهم والتأويل: من أين جئتم بأن مقصود الفقهاء فى ذكر الخلاف السابق كان مقصوراً على الأمم السابقة في أزمنتها، هل من قول ابن حجر الهيثمي «الملل السابقة حين حقيقتها»؟ لو عاودتم القراءة والفهم ربما تقتنعون بأن المقصود منه هو حين ظهورها أو حين تحققها فى دنيا الناس، وهذا ما استوعبته لجنة الموسوعة الفقهية الكويتية وهم من كبار الفقهاء، ولذلك وضعوا عنوانهم «إطلاق الإسلام على ملل الأنبياء السابقين وأتباعهم»، فما معنى الأتباع إلا أنهم المتبعون إلى قيام الساعة. ثم إن ابن حجر الهيتمى، ت ٩٧٤ هـ، قد أخذ عن الحافظ السيوطي، ت ٩١١ هـ، وعبارة الحافظ السيوطي لم تشتمل على عبارة «حين حقيقتها» وإنما قال: «اختلف العلماء هل يطلق الإسلام على كل دين حق أو يختص بهذه الملة الشريفة»، وهذا يدل على عدم التقييد بزمن ما قبل بعثة سيدنا محمد (ﷺ). وأخيراً فإن كلام ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، فى تقسيم لفظ الإسلام إلى عام وخاص قد حل إشكالية الاختلاف، فجعل الإسلام بالإطلاق

العام لكل أمة متبعة لنبي من الأنبياء، وجعل الإسلام بالإطلاق الخاص لأمة خاتم النبيين (ﷺ).

وقد يشاغب البعض بأنه قد ورد في القرآن الكريم ما يدل على كفر أهل الملل السابقة لتحريفهم فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴿١٧﴾ ﴾(المائدة: ١٧- والمائدة: ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴿٧٣﴾ ﴾(المائدة: ٧٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(التوبة: ٣٠).

والجواب عن هذا الشغب هو أن الكفر ثابت في مورده لا يتعداه، فمن قال هذا القول المنكر فقد قال قولاً كفرياً، ويوصف بالكفر في محل قوله هذا لا ينسحب إلى غيره، ولذلك يرى الإمام نظام الدين النيسابوري، ت٨٥٠ هـ، في «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» أن الإيمان أساس الحسنات، والكفر أساس السيئات. ويترتب على ذلك أن تكون اللبنة الأولى للإيمان هى الحسنة واللبنة الأولى للكفر هى السيئة، ولا تضيع حسنة بكفر فى غيرها كما لا تضيع سيئة بإيمان في غيرها. وهذا بالتأكيد يختلف عن نظر ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، الذى يرى أن الكفر يحبط جميع الحسنات، كما أن التوبة تحبط جميع السيئات، وقد صرح بذلك في بعض كتبه ومنها «أسباب رفع العقوبة» و«الإيمان الأوسط». والعجب الذي يجب التنبيه إليه هو أن المسلمين في الدين الخاتم جميعهم يدعون بالرحمة فى صلاتهم لأتباع الملل السماوية السابقة، ثم يأتي بعضهم فيمنعهم من صفة الإسلام، فهل هو يردد الدعاء دون وعى أم أنه يعمد إلى الدعاء بالرحمة

للكافرين فى نظره؟ إننا نقول في تشهدنا فى الصلاة ما أخرجه الشيخان عن كعب بن عجرة، أنهم قالوا للنبي (ﷺ): قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». والآل هم الأهل والأتباع، فيشمل ذلك أتباع موسى وعيسى (عليهما السلام)، ولا يقال إن الأتباع لآل إبراهيم يقفون عند بعثة النبي (ﷺ)؛ لأن الأصل العموم إلا إذا وُجد دليل قاطع، ولا يوجد. بل إن من لم تبلغه دعوة النبي الخاتم (ﷺ) – وهم كثر – ولا يزال على ملة موسى أو عيسى (عليهما السلام) فإنه لا يزال على دين حق. وفى حكمه من بلغته الدعوة الخاتمة على يد المنفرين حتى تشكك فى صدقها لسوء العرض وليس لمجرد العناد أو الجحود.

إن أوصياء الدين يهدفون إلى تجذير الشقاق والفُرقة بين بني البشر الموحدين بالله والمؤمنين بشريعة سماوية؛ لاستمرار اشتعال نار الفتنة والعصبية الدينية، مع أن الله تعالى قد أمر كل أمة بتحكيم كتابها السماوي في نطاق الاستطاعة البشرية، ولا يكون هذا إلا بأن نعترف بأنهم على الإسلام بالمعنى العام لأن الله تعالى لا يأمر بدين إلا الإسلام، وأيضاً أن نعتقد بأن اتباعهم للتوراة والإنجيل ليس منة من أهل الإسلام الخاتم عليهم، وإنما هو حق سماوى كحقنا فى الإيمان بالقرآن الكريم وبسنة نبينا (ﷺ)، من دون تدخل أحد فى شأن غيره لوقف تبادل اتهامات التحريف والتكفير فيما يتعلق بحق الله الذي يفصل بين الجميع يوم القيامة، وذلك في آيات متتابعة في سورة المائدة.

الرد علي فتواه

الأول: أن رسالة رسول الله (ﷺ) وشريعته ناسخة لجميع الرسالات والشرائع السابقة وهذا معلوم من ديننا بالضرورة إن النسخ وقع بالشريعة الإسلامية ووقع فيها علي معني أن الله نسخ بالإسلام كل دين سبقه لما يأتي:

قال تعالي: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(١).

قال تعالي: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾(٢).

قال تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾(٣).

ولايخفى علي أحد درس علم النحو أن "أل" في الإسلام للتعريف والمعرفة في الإسلام هي لدين معرَّفٍ هو الإسلام الذي أرسل الله به سيدنا محمد (ﷺ). والإشارة بال يقول علماء البلاغة هي الإشارة إلى معهود بين المتكلم والمخاطب والمعهود هو دين رسول الله محمد (ﷺ) ولا يطلق على غيره من الأديان السابقة.

يقول الحافظ ابن كثير وقوله يعتمد على التفسير بالمأثور وهو مقدم على التفسير بالرأي.

"إن الدين عند الله الإسلام" إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد (ﷺ) فمن لقي الله بعد

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) سورة المائدة آية ١٩.

بعثه محمداً (ﷺ) بدين على غير شريعته فليس بمتقبَّل كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(١)(٢).

فمن تمسك بدين رسوله من الأمم السابقة وآتى رسول الله محمد (ﷺ) بالإسلام فهو كافر به ولا معنى لتمسكه بدينه.

لأن الأديان كلها وان اتفقت في أصولها فهي تختلف في فروعها وشريعتها قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ (المائدة: ٤٨).

والأديان كلها ليست كدين الإسلام ويظهر ذلك واضحا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون: ١-٦).

فالنداء لجميع الكافرين الذين لم يدخلوا في الإسلام سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو غيرهم. وقوله "لكم دينكم ولى دين" أي ولى ديني وحذفت الياء لأن السورة تواطأت على حرف واحد هو النون ويلزم من النص أن دينه مخالف لأديانهم فالإسلام ليس كأديانهم.

ويظهر واضحاً أيضاً في سورة البينة "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة. رسول من الله يتلو صحفاً مطهره فيها كتب قيمة " كلمة منفكين أي هالكين من إنفك صُلبُه إذا هلك ومعنى الآيات: لم يكن

(١) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ١٩ ط دار الشعب.

الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين هالكين معذبين إلا بعد قيام الحجة عليهم بالبينة التي أرسلها الله للبشرية قاطبة وهو رسول الله محمد (ﷺ).

وهو المراد بقوله "رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة" وهذه الصحف هي القرآن الكريم التي ورد وصفها في سورة "عبس".

"وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في الإيمان بالرسول محمد (ﷺ) بين مؤيد ومؤمن به حسب ما جاء وصفه في كتبهم وكانوا يستنصرون به في دعائهم ففريق مؤمن به كعبد الله بن سلام وغيره وفريق كافر به حسداً عليه.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (البينة: ٥) أي مخلصين له الدين وهو الإسلام "حنفاء"أي مائلين إلى الدين الحق وهو الإسلام ويطبقوا أركانه من صلاة وزكاة وغير ذلك من أركانه.

الثاني: أصول الأديان وان اختلفت في الشرائع والفروع.

اتحدت الأديان من عصر آدم إلى رسول الله محمد (ﷺ) في أصول خمسه:

١- التوحيد

٢- إثبات رسالة الرسول التي آتى بها

٣- الدعوة إلى عبادة الله

٤- توعية البشرية بالبعث وهو من أصول عقيدتها

٥- الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة

ولذلك كان بعض الرسل يبلِّغ رسالته بصيغة الجمع، قال تعالى عن نوح وقومه ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ ﴾(١).

وقال عن عاد وقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ ﴾(٢).

فبلِّغَ هؤلاء الرسل رسالتهم بصيغة الجمع لإشتمالها على أصول الرسالات السابقة.

وقوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه "(٣).

والمعنى شرع لأمة محمد (ﷺ) أي بيَّن وأوضح لكم من الدين "ما وصى به نوحاً" من التوحيد وأصول الشرائع السابقة التي لم يختلف الرسل فيها وتوافقت عليها الكتب(٤).

معنى قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ٩٠ ﴾.(٥)

---

(١) سورة الأعراف آية٦١, ٦٢.

(٢) سورة الأعراف آية ٦٧, ٦٨.

(٣) سورة الشورى: آية ١٣.

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٤صـ ٦٦١,٦٦٢.

(٥) سوره الأنعام: آية ٨٩، ٩٠.

ومعنى الآيتين:

"أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ" أي الأنبياء المذكورين "ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ" أي جنس الكتاب ليصدق على كل ما نزل على هؤلاء الأنبياء المذكورين "وَٱلْحُكْمَ" العلم "وَٱلنُّبُوَّةَ" الرسالة أو ما هو أعم من ذلك "فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ" إن حرف شرط له شرط وجواب. ويكفر فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون، والضمير في "بِهَا" للكتاب والحكم والنبوة أو للنبوة فهو أقرب مذكور والإشارة بهؤلاء مشركوا مكة وكل كافر "فقد وكلنا بها ليسوا بها بكافرين الفاء واقعه فى جواب الشرط ومعنى الجملة ألزمنا بالإيمان بها قوما ليسوا بكافرين وهم المهاجرون والأنصار".

"أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ" اسم الإشارة مشار به إلى الأنبياء المذكورين ومعني الأمر بالاقتداء أي موافقة الغير في فعله.وقيل المعنى:اصبر كما صبروا.

وقيل: اقتد بهم فى التوحيد وفى الأصول التي أتوا بها(١) وإن اختلفت الفروع.

وقال: "فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ" ولم يقل فبهم اقتده ليكون الاقتداء في الأصول التي جاء بها الرسل جميعا.

الثالث: معني الفعل "اسلم" الذي جاء منه الماضي والمضارع والأمر والاسم المعرفة وتدور المعاني التي أُخِذت من هذا الفعل حول معني واحد هو الانقياد للأمر وتنفيذه الالتزام به والرضا به والإخلاص فيه. يقول صاحب لسان العرب: (والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي (ﷺ) وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه وما أحسن ما اختصر ثعلب ذلك فقال:الإسلام باللسان.والإيمان بالقلب. وأما الإسلام

(١) انظر فتح القدير جـ١صـ١٧٤.

فان أبا بكر محمد بن بشار قال: فلان مسلم وفيه قولان. أحدهما المستسلم لأمر الله والثاني هو المخلص لله العبادة. والإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتي به سيدنا محمد (ﷺ) وبه يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان، فأما من اظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم. وباطنه عير مصدق فذلك الذي يقول أسلمتُ(١).

فكل ما أتى مِنْ مادة أسلم غير معرفة فهو من هذه المعاني وأما المعرفة "الإسلام" فهو شريعة سيدنا محمد (ﷺ) الذي نسخ كل شرائع الأنبياء قبله فمن لم يؤمن به وينضو تحت رايته فهو كافر وإن كان مقرا بالتوحيد ويقول "لا اله الاالله"

فالآيات التي استدل بها الدكتور هلالي. لا تصح أن تكون دليلا على أن معانيها هي شريعة الإسلام الذي أتي بها رسول الله سيدنا محمد (ﷺ).

فآية البقرة " بلى من أسلم وجهه لله" أي انقاد وأخلص لله.وهذا المعنى لأية النساء وكذلك آية آل عمران. وكل الآيات على هذا النمط والخاصة بإبراهيم وذريته والتي أتت بصيغة اسم الفاعل وكذلك فى سائر الأنبياء مُسِلمَيْن وفى حواريي عيسى (عليه السلام).

أما آيتا آل عمران: "إن الدين عند الله الإسلام" و"**من يبتغ غير الإسلام دينا**" وآية المائدة "**ورضيت لكم الإسلام**" فهو اسم معرفة لدين الإسلام الذي أتى به رسول الله سيدنا محمد (ﷺ). ونسخ كلَّ الملل قبله.

وقول د/ هلالي "ويجب تسمية كل ما نزل من السماء على احد رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أنه دين الإسلام" هذا غير صحيح وغير معقول بل مسلم لغة بمعني منقاد لما أمره الله به على يد رسوله هو".

(١) لسان العرب جـ٣صـ٢٠٨٠سلم.

أما استدلاله بآية سورة الأحقاف فغير صحيح "قل ما كنت بدعا من الرسل" والمعنى ما أنا بأول رسول يأتي بهذه الرسالة فقد سبقني الرسل بمثلها التي أتت بالأصول الخمسة التي اجمع عليها الرسل واختلفوا فى شرائعهم وفروعها.

أما استدلاله بقوله لقد هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن السبب فأخبروه فقال "أنا أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه.

سيادة الدكتور: وجد الرسول (ﷺ) اليهود يعملون طاعة لله ففعل الطاعة وخالفهم بصيام يوم قبله حتى لا يقول أشباهك إنه فعل فعلهم لأن أديان الرسل واحده. ولقد نسخ بصيام شهر رمضان وصار سنة.فوجدهم يفعلون طاعة هي الصوم وهو عباده فهى أصل من الأصول الخمسة.

أما الغيلة يا سيادة الدكتور/ فهذا أمر طبعي بين الرجل وزوجته وليس فيه حرمة، لهذا لم ينزل فيها وحى كما نزل فى الرفث فى ليالي رمضان وكما نزل فى الحيض.

فأما قوله: إن اليهود يغيلون يفعلون أمرا طبيعيا ليس فيه حرمه، ولم يفعل ذلك على أن الملل واحده

أما قول ابن عباس: "كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ" فهذا الأمر الذي لم ينزل فيه وحى فليس فيه حرمة لأنه لوفية حرمه لنزل الوحي بتحريمه فهو يجب الموافقة في الأصول الخمسة لا علي أن اليهودية كالإسلام فأهلها أهل كفر. وحُب الموافقة له سنة ووحي بأنة يوافق هذا ويعرض عن هذا.

أما استدلاله بآية الزمر "وأمرت لأن أكون أول المسلمين" من أمتي. والإسلام الخاص به نسخ ما قبله من الديانات السابقة عليه.

أما استدلاله بقوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾.

فقولـه: "**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ**" لا تكونن علي حال سوي حال الإسلام الذي جاء به رسولكم محمد (ﷺ) لا علي غيره ولا يخفي عليك أسلوب القصر استشكال في ظاهر نصين وردِّه:

١- ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ٧٨﴾(١).

٢- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾(٢).

١- "**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ**" أي في ذات الله ومن أجله وهو الغزو في مدافعة من بغي من الكفار عليكم وهو مشروط بالاستطاعة "**وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ**" أي ما جعل في دينكم شدة فهو دين وسطي لا إفراط ولا تفريط.

(١) سورة الحج آية ٧٨.

(٢) سورة النحل آية ١٢٠ – ١٢٣.

"مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ" ملة مشبه به والمعني وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم "هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ" أي سماكم الله المسلمين في الكتب المتقدمة أن من اتبع رسوله فهو مسلم أي منقاد لله متبع لأوامره وأنتم اتبعتم رسولكم

٢- قوله تعالي: "**إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله رب العالمين**" أي كان إماماً طائعاً يعلم الناس الخير "إني جاعلك للناس إماماً"

قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

" ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ" في أصول دعوته الخمسة وأولها التوحيد والتبري من الأوثان فيتبعه في الأصول دون الفروع ومعني "حَنِيفًا" أي مائلاً إلي الدين الحق ويسمي الإسلام بالحنيفية السمحاء أي المائل الحق السهل.

الإسلام يخالف الأديان الأخرى في الفروع: -

قال تعالي: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾(١).

والمعني لكل أمة من القرون السابقة وضعنا لها شريعة خاصة بها بحيث لا تتخطي أمة منهم شرعيتها المعينة لها إلي أخري "هُمْ نَاسِكُوهُ" جملة صفة لمنسك والضمير هم لكل أمة والمعني تلك الأمة هي العاملة به لا غيرها فكانت

(١) سورة الحج آية ٦٧.

التوراة منسكاً لأمة موسي إلي مبعث عيسي والإنجيل منسك أمة عيسي إلي مبعث محمد (ﷺ) والقرآن منسك البشرية قاطبة إلي يوم القيامة.

"فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ" هذا النهي مرتب علي ما قبله وهو أن لا ينازع من بقي من الأمم السابقة وتابعوهم رسول الله (ﷺ) فببعثته يترك الدين الذي كان عليه ويدخل الإسلام وإلا كان كافراً ويدخل النار.

"وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ" أي إلي دين ربك وهو الإسلام الناسخ لكل الأديان قبله.

رابعاً: عموم رسالة الرسول (ﷺ):

رسالة الرسول (ﷺ) رسالة عامة للبشرية جمعاء وليست للعرب خاصة قال الله تعالي: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(١)

وقال تعالي: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٢).

وقال تعالي: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(٣).

فلا مجال للشك في كونه (ﷺ) رسولاً إلي الخلق أجمعين يقول الإمام الشوكاني في تفسيره للآية الأولي (لما تقدم ذكر أوصاف رسول الله (ﷺ) المكتوبة في التوراة والإنجيل: أمره سبحانه أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلي

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٢) سورة سبأ آية ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

الناس جميعاً لا كما كان غيره من الرسل (ﷺ) فإنهم كانوا يبعثون إلي قومهم خاصة)([1]).

خامساً: ملمح إمامة رسول الله (ﷺ) للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج"

لقد ساقت الأحاديث الواردة من طرق مختلفة بأن الرسول محمداً (ﷺ) صلي بالأنبياء جميعاً وكان إماماً وفي هذا ملمح بأن كل من كان علي البسيطة وكان متمسكاً بدين نبيه فليتركه ويدخل في دين رسول الله محمد (ﷺ) لأن نبيه والأنبياء جميعاً ائتموا به فلامعنى ولاقبول لجميع الأديان سوي دينه (ﷺ) وهو الإسلام الذي أتي به "ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"([2]) كل ما سبق يدحض قول من يقول إن الإسلام من جنس الإسلام الذي جاء به الرسل.

قول د / هلالي في الميزان: -

يقول "يجب تسمية كل دين نزل من السماء علي أحد رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم بأنه دين الإسلام" هذا باطل لما سبق فمعني إسلام الرسل قبله الانقياد وتطبيق أصول الأديان السماوية وبأن كل رسول له فروع عقيدته "ولكل أمة جعلنا منسكاً" ويقول: (ولا يجوز وصف الإسلام الخاتم بأنه دين من جنس آخر غير جنس الإسلام الذي جاء به الرسل السابقون كما قال تعالي: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴿٩﴾ ﴾(الأحقاف: آية ٩) وقال (ﷻ):﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾ ﴾(سورة الأنعام: آية ٩٠) وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي: كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه

(١) فتح التقدير جـ ٢ صـ ٣٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلَّا وُضِعَت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين "ولم يتحرج سيدنا محمد خاتم النبيين (ﷺ) أن يتواصل مع ما يطمئن قلبه من شرائع السابقين فيما لم يؤمر فيه بشيء آخر لإتحاد جنس الدين وهو الإسلام, فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس قال "كان رسول الله (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء". وأخرج الشيخان عن ابن عباس "أنه لما قدم النبي (ﷺ) إلى المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى وأمر بصيامه".

أما آية الأحقاف وآية الأنعام فهي في أصول الأديان التي بيناها سابقا وأما حديث الرسول (ﷺ) باللبنة فهو مثل شبه فيه رسول الله (ﷺ) أصول الأديان كلها برجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنه فالمشبه به البيت الجميل الحسن في أصوله أما الفروع فهي مختلفة.

وموافقة أهل الكتاب في شيء فهو الهام له بفعل ذلك وهو نوع من أنواع الوحي وليس لرسول الله (ﷺ) دخل في الموافقة وعندما يأتي الأمر بالمخالفة يبين ذلك. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾(١) ففعله وحي وإن كان يوافق بعض الأديان السابقة.

استدلال الهلالي بكلام الغير في مسألة "هل يطلق لفظ إسلام على الأنبياء السابقين وذريتهم وأتباعهم":

(١) سورة الحشر: آية ٧.

إستدل بالإمام السيوطي فقال:

١- يرى فريق من الفقهاء وانتصر له الإمام السيوطي "ت ٩١١" أن وصف المسلم ليس إلا للأنبياء السابقين دون أتباعهم ثم لخاتم النبيين (ﷺ) وأمته تشريفاً لها وتكريماً . وساق آيات تحدثنا عن معناها سابقاً ..

٢- ويرى فريق آخر من الفقهاء وانتصر له ابن الصلاح "ت ٦٤٣"أن وصف المسلم إذا ثبت للرسل السابقين فيجب جريان هذا الوصف على أتباعهم عملاً بالقاعدة الفقهية "التابع تابع"ولأن الدين الذي جاء به جميع الرسل هو الإسلام "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى"الشورى آية رقم ١٣.

واستدلاله ليس استدلالا بل هو إثارة الرَّهج في الأعين حتى لا تُرى الحقيقة فليس في قول السيوطي دليل على كلامه فوصف المسلم ليس إلا للأنبياء السابقين دون أتباعهم وقلنا إن الإسلام للأنبياء السابقين بمعنى الانقياد وكذلك قول ابن الصلاح"التابع تابع"أي في معنى الإسلام بالانقياد.

واستدلاله بما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية الصادرة عام ١٩٩٣ "إطلاق الإسلام على ملل الأنبياء السابقين وأتباعهم, أختلف علماء الإسلام في ذلك فبعضهم يرى أن الإسلام يطلق على الملل السابقة ويرى آخرون أنه لم توصف به الأمم السابقة وإنما وصف به الأنبياء فقط وشرفت هذه الأمة بأن وصفت بما وصف به الأنبياء تشريفاً وتكريماً لها"

فهم الدكتور أن الموسوعة الفقهية الكويتية تؤيد زعمه وهذا باطل لأن مفهوم الموسوعة أن الإسلام يطلق على الملل السابقة. بمعنى الانقياد وليس بمعنى الإسلام الذي جاء به الرسول محمد (ﷺ). ما رأيك يادكتور في قول حواري عيسى بن مريم "وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولي قالوا آمنا واشهد

بأننا مسلمون "المائدة آية رقم١١١. هل إسلام محمد وابن تيميه يدحض زعمه الذي ظن أن ابن تيميه معه "قال ابن تيميه في مجموع الفتاوى جـ٣ صـ ٩٤ما نصه قد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً (ﷺ) المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد (ﷺ) والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا. وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه يتناول إسلام كل أمه متبعه لنبى من الأنبياء ورأس الإسلام . العام . مطلقاً شهادة أن لا اله إلا الله رُبها بعث جميع الرسل . " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله إلا الله" ..

إن الرجل يريد أن يدخل أهل الأديان من اليهود والنصارى الجنة وأنهم مسلمون وهذا تخريف وكذلك "إسلام بحيرى" على قناة القاهرة والناس يبث تخاريفه ويسب علماء الإسلام من عصر الصحابه إلى عصرنا هذا لم ينج من لسانه عالم وفتح باب الجنة للكافرين حتى أبى جهل وقال بأن الأئمة الأربعة طواغيت فهو معجب بفكره

أيها القائلون بهذا:.

لقد كفَّر الله اليهود والنصارى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾

كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(٢).

ونحن نردد في كل ركعة من الصلاة"صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم والا الضالين "بالمغضوب عليهم اليهود والضالون وهم النصارى. وهذا التفسير بالمأثور. أما دعاؤنا في صلاتنا بالرحمة لأهل الملل السابقة لأنهم آمنوا بأنبيائهم.

حكم من أنكر دين محمد ونبوته:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة أيه ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة المائدة أيه ٧٣.

(٣) سورة المائدة أيه ١٥،١٦.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾(١) فهاتان الآيتان تحثان على الإيمان بالرسول محمد (ﷺ) وبالدخول في دينه وهو أمر بترك كتبهم والالتزام بكتابه.

فمن لم يؤمن به فقد كفر به وبما جاء به ولو نطق بقول (لا إله إلا الله) دون بقيتها.

قال الإمام الخازن: (كل من كفر بالنبى (ﷺ) مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أنما أتى به النبي (ﷺ) هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره)(٢).

وقال بهذا الزجاج فى كتابه (معاني القرآن وإعرابه)(٣).

درء شبهه:-

وردت أحاديث تبين أن من شهد أن لا اله إلا الله دخل الجنة. ومن هذه الأحاديث

عن جابر (رضي الله عنه) قال: (جاء أعرابي إلى النبي (ﷺ) فقال يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك يشرك به شيئاً دخل النار)(٤).

---

(١) سورة المائدة أيه ١٩.

(٢) لباب التأويل جزء ١ صـ٢١٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه جزء ١ صـ٢٩٥.

(٤) رواه مسلم في الإيمان.

فهذا الحديث وأشباهه من أحاديث العموم والأحاديث القدسية كما فى قوله تعالى: "**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئاً لقيته بمثلها مغفرةً**"(١).

تحمل على التخصيص وجوباً كما فى حديث معاذ الذي رواه أنس "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار"(٢).

وغير هذا الحديث ينطق بذلك.

ملمح إمامة رسول الله (ﷺ) للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج:

تضافرت الروايات على أن الرسول (ﷺ) صلَّى بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج بيد أنهم اختلفوا هل قبل العروج إلى السماء أم بعده!.

وأقتطف من الروايات رواية البيهقى بسنده عن أبى هريرة أن النبي (ﷺ) قال: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى وذكر إبراهيم وعيسى ووصفهم ثم قال فجاءت الصلاة فأممتهم)(٣).

وحديث انس: (انه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء (عليهم السلام) فأمهم رسول (ﷺ)، تلك الليلة)(٤).

وإمامة رسول الله (ﷺ) للأنبياء في تلك الليلة إيذان بان دين رسول الله محمد هو المقبول عند الله ولا قبول للأديان الأخرى ويجب على اليهود والنصارى أن

---

(١) رواه مسلم في الذكر والاستغفار والتوبة.

(٢) متفق عليه البخاري في العلم ومسلم في الإيمان.

(٣) دلائل النبوة جـ٢ باب الإسراء برسول الله (ﷺ).

(٤) المرجع السابق صـ٣٨٨.

ينفضوا أيديهم من الكتب المحرفة التي بين أيديهم ويهرعوا إلى دوح الإسلام فرسول الله محمد إمام الأنبياء وقدوتهم.

نظرة سقيمة:

الرسول (ﷺ) بين عدد الرسل فى الحديث الذي أخرجه الطبراني (عن أبى أُمامه الباهلى (رضي الله عنه): أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم قال:كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم بين نوح وابراهيم؟ قال:عشرة قرون، قال يا رسول الله. كم كانت الرسل قال: ثلاثمائة وخمسة عشر)(١).

وفى سنة ٢٠١٤، زاد بعض أهل الفتوى رسولين.

وزاد عينا ثالثة لا تمسها النار على العينين اللتين بينهما رسول الله (ﷺ). فلقد قال رسول الله (ﷺ) فيما يرويه ابن عباس (رضي الله عنه) "عينان لا تمسُّهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله(٢).

وزاد بعض أهل الفتوى واحدة. ونرى العجب من أهل الفتوى, لك الله يا أمة الإسلام.

مـلوكُ والأمـراء عبيدُهم

على وجه الكرة الأرضية أناس يضيئون الكواكب الأخرى كما تضيء الشمس للكواكب وهؤلاء الناس هم العلماء العاملون المخلصون ورثة الأنبياء وحالهم كما حدَّث عنهم رسول الله (ﷺ) (من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع. وإن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء. وفضل العالم على

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط جـ١صـ ١٢٨.

(٢) رواه الترمذي فى فضائل ألصحابه

العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر)([1]).

وهؤلاء الذين أراد الله بهم الخير (قال رسول الله (ﷺ): من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)([2]).

وقال الإمام علىٌّ (رضي الله عنه) لكُمَيل: ياكُمَيل العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقه، والعلم يزكو بالإنفاق.

وقال رضي الله عنه:

العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله.

وإذا مات العالم ثُلِم في الإسلام ثلمةً([3]) لايسدُّها إلا خلفُ منه.

وقال (رضي الله عنه)

مـا الفخـرُ إلا لأهـل العلـم أنهـمُ ** علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أَدلاَّءُ

وقـدر كـل أمـرئ مـا كـان يحسـنه ** والجـاهلون لأهـل العلـم أعـداءُ

فَفُـزْ بعلـم تعـشْ بـه أبـداً ** النـاس مـوتى وأهـل العلـم أحيـاءُ

وقال أبوالاسود:

(ليس شئ أعزّ من العلم

الملوك حكَّامً على الناس

والعلماء حكَّامً على الملوك)([4])

---

(١) رواه الترمذي فى العلم.

(٢) حديث متفق عليه

(٣) (ثُلم):اى أصابه شِق وكسر أى خلا مكانه.

(٤) احياء علوم الدين حـ١صـ١٧،١٨ بتصريف.

ومن العلماء الحكام على الملوك: أسوق نموذجين: الأول العِزَّ بن عبد السلام.

والثاني: أبو الحسن بُنانٌ الحَّمال الزاهد الوسطى.شيخ الديار المصرية.

العز بن عبد السلام (رحمه الله)

قال الشيخ تاج الدين محمد بن علي الملقب: طُوير الليل(١) أحد أئمة الفقه بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة.

كان شيخنا الإمام العظيم شيخ الإسلام تقي الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد: لا يخاطب السلطان إلا بقوله: "يا إنسان" فما يخشاه ولايتعبَّد له ولا ينحله ألقاب الجبروت والعظمة ولا يزَينّه بالنفاق ولا يداجيه(٢) كما يصنع غيره من العلماء وكان هذا عجيبا غير أن تمام العجب أن الشيخ لم يكن يخاطب أحدا قط من عامة الناس إلا بهذا اللفظ فهو يخاطب به السلطان والفقير وغيرهما – فما يعلو بالسلطان والأمراء ولا ينزل بالضعفاء والمساكين ولايري أحسن ما في هؤلاء وهؤلاء إلا الحقيقة الإنسانية.

ثم كان لايعظِّم في الخطاب إلا أئمة الفقهاء فإذا خاطب منهم أحداً قال له يا فقيه علي أنه لم يكن يسمح بهذا إلا لمثل شيخ الإسلام: "نجم الدين بن الرقعة" ثم يخص علاء الدين بن الباجي وحده بقوله "يا إمام" إذ كان علاء الدين أية من آيات الله في صناعة الحجة. لايكاد يقطعه أحد في المناظرة والمباحثة فهو كالبرهان إجلاله إجلال الحق لأن فيه المعني وتثبيت المعني.

قال الشيخ تاج الدين لابن دقيق العيد يوما:

---

(١) طوير: تصغير طائر.

(٢) ولا يستر غدواته عنه.

ياسيدي أراك تخاطب السلطان بخاطب العامة – دون أن تعظِّمه – فإن علوتَ قلتَ: يا إنسان وإن نزلت قلت يا إنسان. أفلا يسخطه هذا منك وقد تذوَّق حلاوة ألفاظ الطاعة والخضوع وخصَّه النفاق بكلمات هي ظل الكلمات التي يصف بها الله ثم جعله المُلْكُ إنسانا بذاته في وجود ذاته حتي أصبح من غيره كالجبل والحصاة يستويان في العنصر ويتباينان في القدر وأقله مهما قلَّ هو أكثرها مهما عظمت ووجوده شيء ووجودها شيء آخر.

فتبسَّم الشيخ ابن دقيق العيد.

وقال الشيخ تاج الدين.

ياولدي ايش هذا!؟

إننا نفوس ألفاظ. والكلمة من قائلها هي بمعناها في نفسه لا بمعناها في نفسها. فما يَحْسُن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه. ولو نافق الدّين لبطُلَ أن يكون دينا "ولو نافق العالم الديني"

لكان كل منافق أشرف منه. فلطخة الثوب الأبيض ليست كلطخه في الثوب الأسود والمنافق رجل مغطىً في حياته.

"ولكنَّ عالم الدين رجل مكشوف في حياته لامغطى"

فهو للهداية لا للتلبيس. وفيه معاني النور لا معاني الظلمة ٠وذاك يتصل بالدِّين من ناحية العمل.

فإذا نافق فقد كذب "والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التبيين فإذا نافق فقد كذب وغش وخان"

"وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة في الناس دهراً بعد دهر ينطقون بكلمتها ويقومون بحجتها ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النور تحويه في نفسها وتلقيه على غيرها فهي أداة لإظهاره وإظهار جماله معا"

أتدرى ياولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذُ من نور واحد لا يختلف!؟

إن علماء الحق: أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلّور يُظهر النور نفسُه فيه ويظهر حقيقته البلورية. وعلماء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لاغير.

وعالم السوء يفكر في كتب الشريعة وحدها فيسهل عليه أن يتأوَّل ويحتال ويغيَّر ويبدل ويظهر ويخفى.

ولكن العالم الحق يفكر مع كتب الشريعة في صاحب الشريعة فهو معه في كل حالة يسأله ماذا تفعل وماذا تقول!؟

والرجل الديني لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت ولا يجئ كل يوم من حوادث اليوم فهو بأخلاقه كلها لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها.

ولن تراه مع ذوي السلطان وأهل الحُكم والنعمة كعالم السوء هذا الذي لو نطقت أفعاله لقالت: لله بلسانه:هم يعطونني الدراهم والدنانير والمنصب.

إن الدينار ياولدي إذا كان صحيحا في أحد وجهيه دون الأخر أوفى بعضه دون بعضه فهو زائف كله.وأهل الحكم والجاه حين يتعاملون مع هؤلاء يتعاملون مع قوة الهضم فيهم. فينزلون بذلك منزلة البهائم تقدم أعمالها لتأخذ لبطونها. والبطن الآكل في العالِم السوء يأكل دين العالَم فيما يأكله.

فإذا رأيت لعلماء السوء وقاراً فهو البلادة أو رقة فسمها ضعفا أو محاسنة فقل إنها النفاق أو سكوتا عن الظلم فتلك رشوة يأكلون بها.

قال الإمام ابن دقيق العبد: وما رأيت مثل شيخي سلطان العلماء: عز الدين ابن عبد السلام(١).

فلقد كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شيئا تصنعه طبيعته كما يصنع جسمه الحياة فلا يبالى هلك فيه أو عاش.

إذ هو في الدم كالقلب لا تناله يد صاحبه ولا يد غيره. حتى قال الملك الظاهر بيبرس: وقد رأى كثرة الخلق في جنازته حين مرت تحت القلعة: الآن استقر أمري في المُلك فلو أن الشيخ دعا الناس إلى الخروج علىَّ لانتزع منى المملكة. وكان سلطانه في دمشق الصالح إسماعيل فاستنجد بالإفرنج على الملك نجم الدين أيوب سلطان مصر فغضب الشيخ "العز بن عبد السلام" واسقط اسم الصالح من الخطبة(٢) وخرج مهاجرا فأتبعه السلطان الصالح بعض خواصه ويتلطف به ويقول له:ما بينك وبين أن تعود إلى صاحبك وما كنتَ عليه وأكثر مما كنت عليه إلا أن تتخشع للسلطان وتُقَّبل يده.

فقال الشيخ: يامسكين أنا لا أرضى أن يُقَّبل السلطان يدي أنتم في وادٍ وأنا في واد.

ثم قدم العزُّ بن عبد السلام إلى مصر في سنة ٦٣٩. فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب. وتَحفَّى به وولاّه خطابة مصر وقضاءها وكان أيوب ملكاً شديد البأس لا يجرأ أحدُ أن يخاطبه إلا مجيبا ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء وقد جمع من المماليك الترك ما لم يجتمع مثله لغيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء عسكره منهم وهم معروفون بالخشونة والفظاظة والاستهانة بكل أمر.

---

(١) هو الإمام العظيم شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد السلام. بركة الدنيا في عصره مات سنه ٦٦٠.

(٢) من الدعاء له في الخطبة.

فلما كان يوم العيد صعد إليه الشيخ العز وهو يعرض الجند ويظهر ملكه وسطوته والأمراء يقبلون الأرض بين يديه.

فناداه الشيخ بأعلى صوته ليسمع هذا الملأ العظيم

يا أيوب:

وأمره بإبطال منكر انتهى إلى علمه في حانة(١) تباع فيها الخمر فرسم السلطان لوقته بإبطال الحانة واعتذر إليه.

سأله تلميذه الباجي بعد رجوعه من القلعة بعد ما شاع الخبر.

يا سيدي كيف كانت الحال!؟

قال: يا بني: رأيته في تلك العظمة فخشيت على نفسه أن يدخلها الغرور فتبطره فكان ما باديته به.

قال تلميذه: أَماَ خِفته!؟

قال: يا بني: استحضرتُ هيبة الله تعالى فكان السلطان أمامي كالقط.

ولو أن حاجة من الدنيا كانت في نفسي لرأيتُه الدنيا كلَّها بيد أنى نظرت بالآخرة فامتدت عيني فيه إلى غير المنظور للناس. فلا عظمة ولا سلطان ولا بقاء ولا دنيا بل هو لاشيء في صوره شيء.

قال الإمام تقي الدين:

وطغى الأمراء من المماليك وثقلت وطأتُهم على الناس وحيثما وجدت القوة المسلَّطة المستبدة جعلت طغيانها واستبدادها أدبا وشريعة لهم ولشعوبهم إلا أن تقوم بإزائها قوة معنوية أقوى منها ففكر شيخنا العز في هؤلاء الأمراء وطغيانهم واستبدادهم فهداه تفكيره إلى أن الأمراء مماليك(٢) فحكم الرِّق مستصحب عليهم

---

(١) حانوت الخمار يباع فيه الخمر.

(٢) جمع مملوك وهو العبد فكانوا عبيدا ووصلوا إلى الحكم.

لبيت مال المسلمين ويجب شرعا بيعهم كما يباع الرقيق وبلغ ذلك الأمراء فجزعوا له وعظم فيهم الخطب. ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع، لا بإزاء القاضي العز بن عبدالسلام.

أفتى الشيخ: أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة ولا يصح لهم شيء من هذا حتى يباعوا ويحصل عتقُهم بطريق شرعي

ثم جعلوا يتسببون إلى رضاه ويتحملون عليه بالشفاعات وهو مُصِرُ لا يعبأ بجلالة أخطارهم. ورفعوا الأمر للسلطان فأرسل إليه فلم يتحول عن رأيه وحكمه. واستشنع السلطان فعله وأنكر منه دخوله فيما لا يعنيه وقبَّح السلطان عمله وفعله وسياسته وما تطاول إليه. والشيخ ليس له إلا نفسه وما تكاد تصل يده إلى ما يقيمه وهم وافرون وفى أيديهم القوة ولهم الأمر والنهى فى شعب مصر.

وانتهى ذلك إلى الشيخ الإمام العز. فغضب ولم يبال بالسلطان ولا كَبُرَ عليه إعراضه وأزمع الشيخ الهجرة من مصر

فاكترى – استأجر – حميراً أركب أهله وولده عليها ومشى هو خلفهم يريد الخروج من مصر إلى الشام فلم يبعد إلا قليلا نحو نصف بريد(١) حتى طار الخبر فى مصر ففزع الناس وتبعوه لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا صبى وصار فيهم العلماء والصلحاء والتجار والمحترفون كأن خروجه خروج نبي من بين المؤمنين واستعلنت قوة الشرع في مظهرها الحاكم الآمر من هذه الجماهير فقيل للسلطان.

إن ذهب هذا الرجل ذهب مُلَكك.

---

(١) البريد: الدابة التي تحمل الرسائل وهو المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق وهى أميال.

فارتاع السلطان فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضاه ويستدفع به غضب الأمة وأطلق له أن يأمر بما شاء وقد أيقن أنه ليس رجل الدينار والدرهم والعيش والجاه ولبس طيلسان العلماء.

ورجع الشيخ وأمر أن يعقد المجلس ويجمع الأمراء وينادى عليهم للمساومة فى بيعهم وضرب لذلك أجلاً بعد أن يكون الأمر قد تعالمه كل مصر ليتهيأ من يتهيأ للشراء والسوم فى هذا الرقيق الغالي.

وكان من الأمراء المماليك نائب السلطنة فبعث إلى الشيخ يلاطفه ويسترضيه فلم يعبأ به الشيخ فهاج هائجة وقال: كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادى علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض؟

وما الذي يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه؟ إنه يفقد ما لا يملك ويفقد غير الموجود فلا جرم لا يبالى ولا يرجع عن رأيه ما دام هذا الرأي لا يمر فى منافعه ولا فى شهواته ولا فى أطماعه كالذين نراهم من علماء الدنيا أما والله لأضربنه بسيفي هذا.

ثم ركب النائب فى عسكره وجاء إلى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب:

فخرج ابنه عبد اللطيف ورأى ما رأى فانقلب إلى أبيه وقال له:

انج بنفسك ياأبي. إنه الموت وانه السيف وأنه وإنه.

فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير بل قال له:

يا ولدى: أبوك أقل من يقتل فى سبيل الله:

وخرج الشيخ إلى نائب السلطان لا يعرف الحياة ولا الموت فليس فيه إلا الإنسان الإلهي. ونظر إلى نائب السلطان وفى يده السيف.

فانطلقت أشعة من عينيه إلى أعصاب السلطان فيبست يده ووقع السيف منها وتناوله الشيخ بروحه القوية فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ.

وأخذ النائب يبكى ويسأل الشيخ أن يدعو له ثم قال: يا سيدي ما تصنع بنا؟ قال الشيخ: أنادى عليكم وأبيعكم.

وفيم تصرف ثمننا؟

قال الشيخ: في مصالح المسلمين

قال السلطان: ومن يقبضه؟

قال الشيخ: أنا

وكان الشرع هو الذي يقول: أنا

فتم للشيخ ما أراد ونادي على الامراء واحدا واحدا. واشتط فى ثمنهم لا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخره وما يبلغ. وكان كل أمير قد اعد من شيعته جماعة يستلمونه ليشتروه.

ودفع الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة على الناس بهذه الكلمة التي أعلنها الشرع.

أمراء للبيع. أمراء للبيع(١).

(١) الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي في كتابه "وحي القلم" جـ ٣ صـ ٥٢-٥٨ بتصريف.

الثاني: (أبو الحسن بنان الحمال الزاهد الواسطي. شيخ الديار المصرية)

قال أبو على أحمد بن محمد الروذ بادي البغدادي: كنت يوما عند شيخنا "الجُنيد" فى بغداد.فجاءه كتاب من يوسف بن الحسن شيخ الرِّي فى وقته يقول فيه:

لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدا

قال أبو على:

فجعلت أفكر في طعم النفس ما هو؟ وجاءنى مالم أرضه من الرأي حتى سمعت بخبر "بُنَان الحَمَّال الزاهد الواسطى. شيخ الديار المصرية" فى مصر فكان يضرب به المثل بعبادته وزهده وموقفه من "أحمد بن طولون. فكان بنان سببا فى قدومي إلى مصر لأراه واصحبه وانتفع به.

والبلد الذي ليس فيه من أهل الدين الصحيح والنفس الكاملة والأخلاق الإلهية هو فى الجهل كالبلد الذي ليس فيه كتاب من الكتب البته وإن كان كل أهله علماء. وإن كان في كل محلَّة منه مدرسة وفى كل دار من دوره خزانة كتب فلا تغنى هذه الكتب عن الرجال. فإنما الكتب صواب أو خطأ ينتهي إلى العقل. ولكن الرجل الكامل صواب ينتهي إلى الروح. وهو في تأثيره على الناس أقوى من العلم.

قال أبو على: وقدمت إلى مصر لأرى أبا الحَسَن بُنَان وآخذ عنه وأحقق ما سمعته من خبره مع "ابن طولون".

فلما لقيته لقيت رجلا من تلاميذ شيخنا الجنيد يتلألأ فيه نوره ويعمل فيه سرُّه وهممت مرة أن اسأل الشيخ عن خبره مع "ابن طولون" فقطعتني هيبتهُ فقلت أحتال بسؤال عن كلمة شيخ الرِّي "لا أذاقك الله طعم نفسك" وبينما أهيِّءُ في نفسي كلاما أجرى فيه هذه العبارة جاء رجل فقال للشيخ:

لي على فلان مائه دينار. وقد ضاعت الوثيقة التي كتب فيها الدَّين وأخشي أن ينكراذا هو علم بضياعيها فادع الله لي وله أن يظفرنى بديني وأن يثبته على الحق.

فقال الشيخ: إنى رجل قد كبرت وأنا أحب الحلوى فاذهب فاشتر رطل منها وائني به ادع لك.

فذهب الرجل فاشترى الحلوى ووضعها البائع فى ورقة فإذا هي الوثيقة الضائعة.

وجاء إلى الشيخ وأخبره فقال له: خذ الحلوى فاطعمها صبيانك لا أذاقنا الله طعم أنفسنا فيما نشتهى. ثم إنه التفت إلىَّ وقال:

لو أن شجرة اشتهت غير ما به صحة وجودها وكمال منفعتها فأذيقت طعم نفسها لأكلت نفسها وذوت.

وقال أبو على: والمعجزات التي تحدث للأنبياء والكرامات التي تكون للأتقياء وما يخرق العادة ويخرج عن النسق كل ذلك كقول القدرة عن الرجل الشاذ هو هذا فلم تبق بى حاجة إلى سؤال الشيخ عن خبره مع ابن طولون. وكنت كأني أرى بعيني رأسي كل ما سمعتُ بَيْدْ أنى لم أنصرف حتى لقيتُ أبا جعفر القاضي أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري. ذاك الذي يحدث بكتب أبيه كلها من حفظه وهى واحد وعشرون مصنفا فيها الكبير والصغير فقال لي لعلك اشتقت إلى خبر بُنَان مع ابن طولون فمن أجله جئت إلى مصر قلت: إنه تواضع فلم يخبرنى. وهِبتهُ فلم اسأله قال: تعال أحدثك الحديث: كان أحمد بن طولون: من جارية تركية وكان طولون أبوه مملوكاً حمله نوح بن أسد عامل بخاري إلى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين(١) وغير ذلك فَوُلد أحمد

(١) البراذين: جمع بِرْذَون: وهو الحمار.

في منصب ذلة تستظهر بالطغيان وكانت هاتان طبيعتيه إلى آخر عمره فذهب بهمته بعيدا ونشأ على أن يتم هذا النقص ويكون أكبرمن أصله فطلب الفروسية والعلم والحديث وصحب الزهاد وأهل الورع وتميز على الأتراك وطمح إلى المعالي وظل يرمي بنفسه وهو فى ذلك يكبر ولا يزال يكبر كأنما يريد أن ينقطع من أصله ويلتحق بالأمراء. فلما التحق بهم ظل يكبر ليلحق بالملوك فلما بلغ هؤلاء كانت نيته على ما يعلم الله.

وكان عقله من أثر طبيعيته كالعقلين لرجلين مختلفين فله يد مع الملائكة ويد أخرى مع الشياطين.

وهو الذي بني المارستان وأنفق عليه وأقام فيه الأطباء وجعل للمريض ملابس وطعام مدة إقامته حتى يبرأ ويأخذ مالاً.

وهو صاحب يوم الصدقة يكثر من الصدقات كلما كثرت نعمة الله عليه ومراتبه لذلك في كل أسبوع ثلاثة ألاف دينار سوى مطابخه التي أقيمت كل يوم في داره وغيرها يُذبَح فيها البقر والكباش ويغرف للناس ولكل مسكين أربعة أرغفة يكون في اثنين منها فالوذج – حلوى من الدقيق والعسل – وينادى المنادى من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر وتفتح الأبواب ويدخل الناس وهو في المجلس ينظر إلى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته.

وكان يرسل الأموال إلى فقراء بغداد ويرسل الهبات إلى علمائها وكان كثير التلاوة للقرآن. وكان قد اتخذ حجرة بقربه في القصر وضع فيها رجالاً سماهم بالمكبرين يتعاقبون الليل بالتناوب ويسبحون ويحمدون ويكبرون ويهللون. ويقرءون القرآن تطريباً وينشدون قصائد الزهد ويؤذنون أوقات الأذان. وهو الذي فتح أنطاكيا سنة خمس وستين ومائتين. ومع كل هذا كان رجلاً طائش السيف ويجور ويعصف وقد أحصى من قتلهم صبرا أو مات في سجنه فبلغوا ثمانية عشر ألفا.

وقد أمر بسجن قاضيه "بكار بن قتيبة" وأخذ منه جميع عطاياه مدة ولايته القضاء فكانت عشرة آلاف دينار وجدت في بيته بختمها لم يمسها زهداً وتورعا.

بنان الحمال شيخ الديار المصرية يزأر في وجه احمد بن طالون:-

ذهب بنان إلى احمد بن طولون يعنفه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر فطاش عقل أحمد بن طولون وأمر بإلقائه إلى الأسد وهو الخبر الذي طار في الدنيا

قال أبو جعفر القاضي أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى:

وكنت حاضر أمرهم ذلك اليوم فجيء بالأسد من قصر ابنه خُمَارويه. وكان خُمَارويه هذا مشغوفاً بالصيد لا يكاد يسمع بسبع في غيضة أو بطن واد إلا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيدهم من الغابة عَنْوة وهو سليم.

فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منهم السبع وهو قائم.

الأسد الذي اختاره ابن طولون للشيخ:

كان الأسد الذي اختاره ابن طولون للشيخ أغلظ ما عندهم جسيماً. ضارياً. عارم الوحشية متزِّيل العضل. شديد عصب الخلق هرَّاساً. يهشم عظم فريسته – فرَّاساً – شديد الإفتراس – أهرت الشَّدق.– واسع الفم – يلوح شدقه من سعته وروعته كفتحة القبرينبىء أن جوفه مقبرة ويظهر وجهه خارجا من لبدته. يهم ان ينقذف على من يراه فيأكله.

وأجلسوا الشيخ في قاعة وأشرفوا عليه ينظرون. ثم فتحوا باب القفص من أعلاه فجذبوه فارتفع. وهجهجوا – صاحوا بالأسد يزجرونه فا نطلق يزمجر ويزأر زئيرا تنشق له المرائر ويتوهم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصواعق.

ثم اجتمع الوحش في نفسه واقشعر ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخر فما بقى من أجل الشيخ إلا طرفة عين. ورأيناه على ذلك ساكنا مطرقا لا ينظر إلى الأسد ولا يحفل به وما منا إلا من كاد ينهتك حجاب قلبه من الفزع والرعب والإشفاق على الرجل

ولم يرعنا إلا ذهول الأسد عن وحشيته فأقعي – جلس – علي ذنبه ثم لصق بالأرض هنيهة – لحظة – يفترش ذراعيه ، ثم نهض نهضة أخري كأنه غير الأسد فمشي مترفِّقاً ثقيل الخطو تسمع لمفاصله قعقعة من شدته وجسامته.

وأقبل علي الشيخ وطفق يحتك به ويلحظه ويشمه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذي يأنس به. وكأنه يعلن أن هذه ليست مصاولة بين الرجل التَّقيّ والأسد ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله.

وضربته روح الشيخ فلم يبق بينه وبين الآدمي عمل ولم يكن منه بإزاء لحم ودم. فلو أكل الضوء والهواء والحجر والحديد كان ذلك أقرب وأيسر من أن يأكل هذا الرجل المتمثل في روحانيته لا يحس لصورة الأسد معنى من معانيها الفاتكة ولا يرى فيه إلا حياة خاضعة مسخرَّة للقوة العظمى التي هو مؤمن بها ومتوكل عليها كحياة الدودة والنملة وما دونها من الهوام والذر.

وورود النور على هذا القلب المؤمن يكشف له عن قرب الحق (ﷻ) فهو ليس بين يدي الأسد ولكنه هو الأسد بين يدي الله. وكان مندمجاً فى يقين هذه الآية "﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴿٤٨﴾ ﴾"(١).

ورأى الأسد رجلا هو خوف الله فخاف منه وكما خرج الشيخ من ذاته ومعانيها الناقصة خرج الوحش من ذاته ومعانيها الوحشية.

---

(١) سورة الطور آية ٤٨.

فليس في الرجل خوفُ ولا هَمٌ ولا جزعٌ ولا تعلُّقُ برغبة. ومن ذلك ليس فى الأسد فتك ولا ضراوة ولا جوع ولا تعليق برغبة.

ونسى الشيخ نفسه فكأنما رآه الأسد ميتا ولم يجد فيه "أنا" التي يأكلها ولو أن خطرة من هم الدنيا خطرت على قلبه فى تلك الساعة أو اختلجت فى نفسه خالجه من الشك لفاحت رائحة لحمه فى خياشيم الأسد فتمزق فى أنيابه ومخالبه.

قال: أبو جعفر القاضي الذي حضر الواقعة:

وانصرفنا عن النظر فى السبع إلى النظر فى وجه الشيخ.

فإذا هو ساهم مفكّر. ثم رفعوه وجعل كل منا يظن ظناً فى تفكيره فمن قائل إنه الخوف أذهله عن نفسه وقائل إنه الانصراف بعقله إلى الموت. وثالث يقول إنه سكون الفكرة لمنع الحركة عن الجسم فلا يضطرب. وزعم جماعة أن هذه حالة من الاستغراق يُسْحَر بها الأسد وأكثرنا فى ذلك وتجاوبنا فيه حتى سأله ابن طولون:

ما الذي كان فى قلبك وفيم كنت تفكر؟

فقال الشيخ:

لم يكن علىَّ بأس. وإنما كنت أفكر في لعاب الأسد أهو طاهر أم نجس.(١)

أليس هؤلاء العلماء ملوكاً والأمراء عبيد لهم.؟

بلى.

لقد أضاءوا للبشرية الطريق طريق العلماء العاملين الزاهدين الخاشعين.

بخلاف غيرهم فلقد أفسدوا وتركوا أثراً فى نفوس الناس لا يثقون فيهم.

قال:

عبد الله بن المبارك (رضي الله عنه):

---

(١) وحى القلم جـ٣ صـ٤٥ـ ٥١ بتصريف.

وهـــل أفســـد الـــدِّينَ إلا الملـــوكُ ** وأحـــــبارُ ســـــوءٍ ورُهبانهـــــا

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله في كل لمحة ونفس وفي كل حركة ذرة بقدر عظمة ذاتك وتكون دائمة بدوامك

أ.د/ شحات حسيب الفيومي
مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر
والأستاذ المتفرغ بقسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بحمد الله تم